

The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذَا اليَوْم
Philippians 3:1-9	فِيلِبِّي 3: 1-9
#C2608_Pt.1	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 335
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تَشْكُ سميث

[المُقَدِّمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

أَهْلًا وَمَرْحَبًا بِكَ صَدِيقِي الْمُسْتَمِعِ فِي حَلَقَةٍ جَدِيدَةٍ مِنَ الْبَرْنَامَجِ الْإِذَاعِيِّ "الكَلِمَة لِهَذَا اليَوْم".

فِي حَلَقَةِ الْيَوْمِ، سَتَتَابِعُ بِمَشِيَّةِ الرَّبِّ دِرَاسَتَنَا لِرِسَالَةِ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ فِيلِبِّي. وَمَا نَأْمَلُهُ وَنَرْجُوهُ مِنْ أَعْمَاقِ قُلُوبِنَا هُوَ أَنْ تَكُونَ، عَزِيزِي الْمُسْتَمِعِ، قَدْ تَبَارَكْتَ، وَاسْتَفَدْتَ، وَحَقَّقْتَ نَضْجًا فِي عِلَاقَتِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ التَّفْسِيرَاتِ وَالتَّأْمُّلاتِ.

وَالآنَ، إِنْ كَانَ لَدَيْكَ كِتَابٌ مُقَدَّسٌ، نَرْجُو أَنْ تَفْتَحَهُ عَلَى الْأَصْحَاحِ الثَّلَاثِ مِنْ هَذَا السِّفْرِ التَّفْسِيرِ وَهَذِهِ الرِّسَالَةِ الْعَظِيمَةِ (أَيِ الرِّسَالَةِ إِلَى أَهْلِ فِيلِبِّي). أَمَّا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ كِتَابٌ مُقَدَّسٌ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ، فَمَا نَرْجُوهُ مِنْكَ يَا صَدِيقِي هُوَ أَنْ تُصْنِعِي بِرُوحِ الْخُشُوعِ وَالصَّلَاةِ.

وَالآنَ، نَتَرَكُكُمْ أَعْزَاءَنَا الْمُسْتَمِعِينَ مَعَ دَرَسٍ جَدِيدٍ مِنْ رِسَالَةِ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ فِيلِبِّي ابْتِدَاءً بِالْأَصْحَاحِ الثَّلَاثِ وَالْعَدَدِ الْأَوَّلِ؛ دَرَسًا أَعَدَّهُ لَنَا الرَّاعي "تَشْكُ سميث":

[العظة] (الراعي "تَشَكُّكُ سميث")

قَبْلَ أَنْ نَبْتَدِئَ دِرَاسَتَنَا لِلأَصْحَاحِ الثَّالِثِ مِنَ الرِّسَالَةِ إِلَى أَهْلِ فِيلِبِّي، يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُدْرِكَ أَنَّ الرِّسُولَ بُولَسَ كَتَبَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ وَهُوَ قَابِعٌ فِي السَّجْنِ فِي رُومًا. وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْكَلِمَةَ الْأَسَاسِيَّةَ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ هِيَ "افْرَحُوا!"

لِذَا فَإِنَّا نَقْرَأُ فِي الرِّسَالَةِ إِلَى أَهْلِ فِيلِبِّي 3: 1 عَلَى لِسَانِ الرِّسُولِ بُولَسَ:

أَخِيرًا يَا إِخْوَتِي افْرَحُوا فِي الرَّبِّ. كِتَابَةُ هَذِهِ الْأُمُورِ إِلَيْكُمْ لَيْسَتْ عَلَيَّ ثَقِيلَةً، وَأَمَّا لَكُمْ فَهِيَ مُؤَمَّنَةٌ.

وَالْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ جِدًّا عَلَيْنَا أَنْ نَفْرَحَ فِي الْأَحْوَالِ الصَّعْبَةِ. وَمَعَ ذَلِكَ، يُمَكِّنُنَا أَنْ نَفْرَحَ دَائِمًا فِي الرَّبِّ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أَيِّ مِحْنَةٍ أَوْ مُشْكِلَةٍ قَدْ نَحْتَبِرُهَا فِي حَيَاتِنَا. لِذَلِكَ فَإِنَّ الرِّسُولَ بُولَسَ يَحُضُّ مُؤْمِنِي فِيلِبِّي (وَيَحُضُّنَا نَحْنُ أَيْضًا) عَلَى أَنْ نَفْرَحَ فِي الرَّبِّ.

وَهُوَ يَقُولُ إِنَّ كِتَابَةَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَهُوَ فِي السَّجْنِ لَيْسَتْ بِالْأَمْرِ الثَّقِيلِ أَوْ الصَّعْبِ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ يَكْتُبُ مِنْ وَاقِعِ خِبْرَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ وَبِدَافِعِ مَحَبَّتِهِ. فَمَعَ أَنْ الْأَوْضَاعَ الَّتِي كَانَ يَعْيشُهَا آنَ ذَاكَ كَانَتْ صَعْبَةً وَمَرِيرَةً، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَمْ يَمْنَعُهُ مِنَ الْفَرَحِ فِي الرَّبِّ. بِعِبَارَةٍ أُخْرَى، أَيَّا كَانَتْ أَحْوَالُكَ، يُمَكِّنُكَ، صَدِيقِي الْمُسْتَمِعِ، أَنْ تَفْرَحَ فِي الرَّبِّ.

وَيَقُولُ بُولَسُ الرِّسُولُ هُنَا إِنَّ الْكِتَابَةَ عَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ لَيْسَتْ أَمْرًا ثَقِيلًا عَلَيْهِ، بَلْ إِنَّهَا سَتُسَاعِدُهُمْ فِي أَنْ يَطْلُوا فِي مَأْمَنٍ وَفِي جَعْلِهِمْ أَكْثَرَ اسْتِعْدَادًا وَتَأَهُبًا لِمُوَاجَهَةِ التَّحْدِيَّاتِ.

وَفَجْأَةً، تَتَغَيَّرُ لَهْجَةُ الرِّسُولِ بُولَسَ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى الْفَرَحِ إِلَى التَّحْذِيرِ فَيَقُولُ فِي الْعَدَدِ الثَّانِي:

انْظُرُوا الْكِلَابَ. انْظُرُوا فَعَلَةَ الشَّرِّ. انْظُرُوا الْقَطْعَ.

وَالْحَدِيثُ هُنَا هُوَ عَنِ الْمُعَلِّمِينَ الْكَذِبَةِ. فَقَدْ كَانَ هُنَاكَ أَشْخَاصٌ يَلْحَقُونَ بِالرِّسُولِ بُولَسَ أَيْنَمَا ذَهَبَ لِكَيْ يُشَوِّهُوا كُلَّ مَا يُعَلِّمُهُ عَنِ نِعْمَةِ اللَّهِ. وَقَدْ كَانَ الْمُهُودُونَ أَبْرَزَ هَؤُلَاءِ الْمُعَلِّمِينَ الْكَذِبَةِ. فَقَدْ كَانُوا يَقُولُونَ لِلْأَمَمِ إِنَّهُ لَا يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يَصِيرُوا مَسِيحِيِّينَ إِلَّا إِذَا صَارُوا يَهُودًا أَوَّلًا. وَكَانُوا يُحَاوِلُونَ إِخْضَاعَهُمْ لِشَرَائِعِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَإِقْنَاعَهُمْ بِأَنْ يَحْتَنِنُوا لِكَيْ يَنَالُوا الْخَلَاصَ.

وَلِأَنَّ هَذَا التَّحْذِيرَ مُهِمٌّ، يَسْتَخْدِمُ الرِّسُولُ بُولَسُ الْكَلِمَةَ "انْظُرُوا" ثَلَاثَ مَرَّاتٍ:

أولاً: "انظروا الكلاب". والغريب في الأمر هو أن اليهود هم الذين كانوا يُلقَّبون الأمم بالكلاب. والكلمة التي كانوا يستخدمونها لم تكن تُشير إلى الكلاب الأليفة التي يربّيها الناس في بيوتهم، بل إلى الكلاب البرية الشرسة التي تنبح بصوت مُزعج، وتهاجم الناس والقطعان. وقد كانت هذه الكلاب البرية الشرسة موجودة بكثرة ومكروهة من جميع الناس. إذا فقد كان اليهود يُلقَّبون الأمم (أي غير اليهود) بالكلاب تحقيراً لهم. ولكن المدهش هنا هو أن الرسول بولس يقلب الأمور رأساً على عقب ويستخدم الكلمة نفسها لوصف هؤلاء المعلمين الكذبة المهودين.

ثانياً: "انظروا فعلة الشر". فالأمر يُطلب عبثاً فاحصة، وقلباً يقظاً، وحرصاً شديداً لتمييز أعداء الحق الذين يصفهم بولس الرسول بأنهم فعلة شر. فعندما ابتدأ بولس خدمته بين الأمم، هاج عليه المهودون وراحوا يقاومونه بشتى السبل الشريرة وغير الشريرة. ولأنهم كانوا يُناقضون الحق، فقد أسماهم بولس "فعلة شر". فبدلاً من أن يُعلموا الأمم أن الخلاص هو بالنعمة بدم يسوع المسيح، فإنهم يُعلمونهم أنهم سيخلصون بحفظ ناموس موسى.

ثالثاً: "انظروا القطع". والكلمة المترجمة هنا "قطع" لا تُشير في اللغة الأصلية إلى الختان المعروف لدى اليهود، بل إلى طقس وثني كان يقوم فيه الوثنيون بجرح أنفسهم بأدوات حادة. فقد كان الختان في العهد القديم علامة في الجسد على قبول العهد مع الله. ولكن لأن يهوداً كثيرين رفضوا الخلاص بيسوع المسيح، لم يعد ختانهم رمزاً لعهدهم مع الله، بل صار مجرد قطع في الجسد. بعبارة أخرى، فإنه مجرد ممارسة طقسية لا معنى لها. فمع أن الختان كان له مفهوم روحي عميق، فقد جرّده هؤلاء المهودون من معناه وجعلوه مجرد قطع (أي: جرح) في الجسد. فقد كانوا يحاولون إقناع الأمم أن يحتننوا لكي يصيروا مقبولين قدام الله متغاضين بذلك عن صليب الرب يسوع المسيح.

ويتابع الرسول بولس حديثه إلى أهل فيلبّي في الأصحاح الثالث والعدد الثالث:

**لأننا نحن الختان، الذين نعبد الله بالروح، ونفتخر في المسيح يسوع،
ولا نتكل على الجسد.**

فقد كان الرسول بولس يركّز دائماً على حقيقة أن الطقوس الخارجية لا تنفع المرء في شيء. ولا سيما إذا كانت خالية من أي اختبار روحي حقيقي. إذا فإن ختان الجسد لا ينفع شيئاً، بل إن ختان القلب هو الأمر الذي يحتاج إليه الإنسان لكي يكون مقبولاً عند الله. بمعنى آخر، فإن الله يهتم بحال قلبي أكثر من أي أعمال خارجية. فإذا كنت، صديقي المستمع، تُمارس أي نوع من الطقوس الخارجية في محاولة للتقرب إلى الله، دون أن يكون قلبك تائباً ومهتماً بالشركة الحقيقية مع الله الحي، فإن تلك الطقوس لن تنفعك في شيء.

وما يُقال عن الختان في العهد القديم يُمكن أن يُقال عن أي عمل نقوم به الآن. فعلى سبيل المثال، فإن معمودية الماء لا تُخلص الإنسان. فالخلاص يُطلب توبة حقيقية واعتقاداً بأن يسوع المسيح مات لأجلنا على الصليب، ودُفن، وقام في اليوم الثالث لكي يُعطينا حياة

جَدِيدَةً مَعَهُ. لِذَلِكَ يَقُولُ بولسُ إِنَّ الْمُؤْمِنَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ ذَاكَ الَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ بِالرُّوحِ، وَيَقْتَرِخُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، وَلَا يَتَّكِلُ عَلَى الْجَسَدِ. وَكَانَ يَسُوعُ قَدْ قَالَ فِي إِنْجِيلِ يوحنا 4: 24: "اللَّهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ قِبَالَ رُوحٍ وَالْحَقُّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا". وَبِأَلِهَا مِنْ حُرِّيَّةٍ أَعْطَانَا إِيَّاهَا اللَّهُ الْحَيُّ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ! فَبِمُوجِبِهَا، صَارَ بِمَقْدُورٍ كُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى اللَّهِ دُونَ أَعْمَالِ النَّامُوسِ.

وَكَانَ الرَّسُولُ بولسُ قَدْ تَحَدَّثَ عَنْ مَعْنَى الْخِتَانِ الْحَقِيقِيِّ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَّةِ 2: 28 و 29 فقال: "لَأَنَّ الْيَهُودِيَّ فِي الظَّاهِرِ لَيْسَ هُوَ يَهُودِيًّا، وَلَا الْخِتَانُ الَّذِي فِي الظَّاهِرِ فِي اللَّحْمِ خِتَانًا، بَلِ الْيَهُودِيُّ فِي الْخَفَاءِ هُوَ الْيَهُودِيُّ، وَخِتَانُ الْقَلْبِ بِالرُّوحِ لَا بِالْكِتَابِ هُوَ الْخِتَانُ، الَّذِي مَدَحُهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ بَلْ مِنَ اللَّهِ".

وَيَتَابِعُ بولسُ الرَّسُولُ رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ فِيلِبِّيَّ فيقولُ في الأصْحاحِ الثَّالِثِ وَالْأَعْدَادِ مِنَ الرَّابِعِ إِلَى السَّادِسِ:

مَعَ أَنَّ لِي أَنْ أَتَّكِلَ عَلَى الْجَسَدِ أَيْضًا. إِنْ ظَنَنْتُ وَاحِدًا آخَرَ أَنْ يَتَّكِلَ عَلَى الْجَسَدِ فَأَنَا بِالْأُولَى. مِنْ جِهَةِ الْخِتَانِ مَخْتُونٌ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ، مِنْ جِنْسِ إِسْرَائِيلَ، مِنْ سِبْطِ بَنِيَامِينَ، عِبْرَانِيٌّ مِنَ الْعِبْرَانِيِّينَ. مِنْ جِهَةِ النَّامُوسِ فَرِيسِيٌّ. مِنْ جِهَةِ الْغَيْرَةِ مُضْطَهَّدُ الْكَنِيسَةِ. مِنْ جِهَةِ الْبِرِّ الَّذِي فِي النَّامُوسِ بِلَا لُومٍ.

وَكَانَ الرَّسُولُ بولسُ قَدْ قَالَ أَيْضًا فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَّةِ 7: 18: "فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ، أَيْ فِي جَسَدِي، شَيْءٌ صَالِحٌ". بِعِبَارَةٍ أُخْرَى، لَوْ كَانَ بِمَقْدُورِنَا أَنْ نَخْلُصَ بِأَعْمَالِنَا الصَّالِحَةِ أَوْ بِالطُّقُوسِ، لَكَانَ الرَّسُولُ بولسُ فِي رَأْسِ قَائِمَةِ الْمُخْلَصِينَ. وَهُوَ يَذْكُرُ هُنَا الْعَدِيدَ مِنَ الْاِمْتِيَازَاتِ وَالْاِنْجَازَاتِ الَّتِي يَتَوَقَّعُ كُلُّ يَهُودِيٍّ فِي زَمَانِهِ إِلَى الْاِقْتِحَارِ بِهَا فَيَقُولُ:

"مِنْ جِهَةِ الْخِتَانِ مَخْتُونٌ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ". فَقَدْ أَوْصَى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ فِي سِفْرِ التَّكْوِينِ 17: 10 14 قَائِلًا: "هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخَتَّنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ، فَتُخَتَّنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ، فَيَكُونُ عَلَامَةً عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. ابْنُ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ يُخَتَّنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فِي أَجْيَالِكُمْ: وَلِيَدُ الْبَيْتِ، وَالْمُبْتَاعِ بِفِضَّةٍ مِنْ كُلِّ ابْنٍ غَرِيبٍ لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ. يُخَتَّنُ خِتَانًا وَلِيَدُ بَيْتِكَ وَالْمُبْتَاعِ بِفِضَّتِكَ، فَيَكُونُ عَهْدِي فِي لَحْمِكُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. وَأَمَّا الذَّكَرُ الْأَعْلَفُ الَّذِي لَا يُخَتَّنُ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ فَتُقَطَّعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ شَعْبِهِا. إِنَّهُ قَدْ نَكَثَ عَهْدِي". وَيُرِيدُ الرَّسُولُ بولسُ أَنْ يَقُولَ هُنَا إِنَّهُ لَيْسَ دَخِيلًا إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، بَلْ هُوَ مُوَلُودٌ فِي بَيْتِ يَهُودِيٍّ أَصِيلٍ.

أَمَّا الْاِمْتِيَازُ الثَّانِي الَّذِي يَذْكُرُهُ بولسُ الرَّسُولُ فَهُوَ أَنَّهُ "مِنْ جِنْسِ إِسْرَائِيلَ". وَكَانَ الْاسْمُ "إِسْرَائِيلَ" هُوَ الْاسْمُ الَّذِي أَطْلَقَهُ اللَّهُ الْحَيُّ عَلَى يَعْقُوبَ بَعْدَ أَنْ صَارَعَ مَعَهُ. لِذَلِكَ، كَانَ

اليَهُودُ يَفْتَخِرُونَ أَنَّهُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ لِلتَّنْبِيرِ عَلَى عِلَاقَتِهِمُ الْخَاصَّةِ بِاللَّهِ. لِذَا، يَقُولُ بُولْسُ هُنَا إِنَّهُ يَنْتَمِي إِلَى جَسَسِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

ثُمَّ يَذْكُرُ بُولْسُ امْتِيَاظًا ثَالِثًا فَيَقُولُ إِنَّهُ "مِنْ سِبْطِ بَنِيَامِينَ". بِعِبَارَةٍ أُخْرَى، فَهُوَ مِنْ النُّخْبَةِ فِي إِسْرَائِيلَ. فَقَدْ كَانَ سِبْطُ بَنِيَامِينَ يَحْتَلُّ مَكَانَةً خَاصَّةً فِي إِسْرَائِيلَ. فَعِنْدَمَا انْقَسَمَتِ الْمَمْلَكَةُ فِي زَمَنِ رَحْبَعَامَ، انْضَمَّ إِلَيْهِ عَشْرَةُ أَسْبَاطٍ. أَمَّا سِبْطَا يَهُودَا وَبَنِيَامِينَ فَبَقِيَا وَحْدَهُمَا عَلَى وَلَايَتِهِمَا. وَعِنْدَ رُجُوعِ الْأُمَّةِ مِنَ السَّبْيِ، تَكُونَتِ الْأُمَّةُ الْعَائِدَةُ مِنْ هَذَيْنِ السَّبْطَيْنِ فَقَطْ. وَكَانَ سِبْطُ بَنِيَامِينَ يَحْتَلُّ مَكَانَ الشَّرَفِ وَالْكَرَامَةِ. بَلْ إِنَّ الطَّبَقَةَ الْأَرِسْطُقْرَاطِيَّةَ الْحَاكِمَةَ فِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ مِنْ سِبْطِ بَنِيَامِينَ. لِذَلِكَ فَإِنَّ الرَّسُولَ بُولْسَ يَذْكُرُ هَذَا الْأَمْرَ كَامْتِيَاظٍ آخَرَ.

وَيَقُولُ بُولْسُ أَيْضًا إِنَّهُ: "عِبْرَانِيٌّ مِنَ الْعِبْرَانِيِّينَ". وَالْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ امْتِيَاظًا، بَلْ كَانَ إِنْجَاظًا لِبُولْسَ. وَهَذَا يَخْتَلِفُ عَنِ كَوْنِهِ إِسْرَائِيلِيًّا. فَمَعَ أَنَّهُ وُلِدَ فِي مَدِينَةٍ أُمَمِيَّةٍ، فَإِنَّهُ بَدَّلَ جُهْدًا شَاقًّا مِنْ أَجْلِ الْحِفَاظِ عَلَى اللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ لِسَانَ آبَائِهِ.

وَيُضِيفُ بُولْسُ قَائِلًا: "مِنْ جِهَةِ النَّامُوسِ فَرِيسِيٌّ". فَقَدْ كَانَ بُولْسُ قَدْ تَدَرَّبَ عَلَى الْمَذْهَبِ الْفَرِيسِيِّ الْمُتَشَدِّدِ وَكَرَّسَ حَيَاتَهُ لِمُمَارَسَةِ دِينِ آبَائِهِ بِتَدْقِيقٍ شَدِيدٍ.

وَيَقُولُ بُولْسُ أَيْضًا: "مِنْ جِهَةِ الْغَيْرَةِ مُضْطَهَّدُ الْكَنِيسَةِ". وَقَدْ كَانَتْ الْغَيْرَةُ عَلَى الدِّينِ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَرْمِزُ إِلَى الشَّرَفِ وَالْكَرَامَةِ. وَلِشَدَّةِ غَيْرَةِ بُولْسَ عَلَى الْيَهُودِيَّةِ، حَاوَلَ أَنْ يَمْحُو أَيَّ أَثَرٍ لِلْمَسِيحِيَّةِ بِأَنْ اضْطَهَّدَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَسِيحِيِّينَ.

وَهُوَ يَقُولُ أَيْضًا: "مِنْ جِهَةِ الْبِرِّ الَّذِي فِي النَّامُوسِ بَلَا لَوْمٍ". فَقَدْ كَانَ يَهُودِيًّا مُخْلِصًا فِي تَنْفِيزِ مَطَالِبِ النَّامُوسِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ مُمْكِنٍ.

وَبَعْدَ أَنْ سَرَدَ بُولْسُ هَذِهِ اللَّائِحَةَ الطَّوِيلَةَ مِنَ الْامْتِيَاظَاتِ الَّتِي امْتَلَكَهَا وَالْإِنْجَاظَاتِ الَّتِي قَامَ بِهَا، فَإِنَّهُ يَقُولُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ فِيلِيبِّي 3: 7:

لَكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحًا، فَهَذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً.

بِعِبَارَةٍ أُخْرَى، يَقُولُ بُولْسُ الرَّسُولُ هُنَا: "مَعَ أَنَّ هَذِهِ الْمَزَايَا وَالْإِنْجَاظَاتِ تَضَعْنِي فِي مَكَانَةٍ عَالِيَةٍ وَمَرْمُوقَةٍ مِنْ جِهَةِ النَّامُوسِ، فَإِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ هَذَا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ". وَلَكِنَّهُ لَا يَكْتَفِي بِقَوْلِ ذَلِكَ، بَلْ يَقُولُ فِي الْعَدَدَيْنِ الثَّامِنِ وَالتَّاسِعِ:

**بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ
يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نَفَايَةَ لَكْنِي
أَرْبِحُ الْمَسِيحَ، وَأَوْجَدُ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بَرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ الَّذِي
بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ، الْبِرُّ الَّذِي مِنَ اللَّهِ بِالإِيمَانِ.**

وَلَعَلَّكَ تَذْكُرُ، يَا صَدِيقِي، اخْتِبَارَ بولسَ المَذْكُورِ فِي سِفْرِ أَعْمَالِ الرُّسُلِ. فَقَدْ كَانَ بولسُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى دِمَشْقَ لِمُلاحَقَةِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَسِيحِيِّينَ، وَالْقَبْضَ عَلَيْهِمْ، وَجَلْبِهِمْ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِمُحاكَمَتِهِمْ. وَلَكِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ ظَهَرَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ وَوَاجَهَهُ بِحَقِيقَةٍ أَنَّهُ هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. وَمُنْذُ تِلْكَ اللَّحْظَةِ فَصَاعِدًا، لَمْ يَعْذُ لِكُلِّ تِلْكَ الْاِمْتِيازَاتِ وَالْإِنْجَازَاتِ فِي حَيَاةِ بولسَ أَيْ قِيَمَةٍ تُذَكَّرُ.

وَبَعْدَ نَحْوِ ثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ اهْتِدَاءِ بولسَ إِلَى السَّيِّدِ الْمَسِيحِ، كَتَبَ رِسَالَتُهُ هَذِهِ إِلَى أَهْلِ فِيلِبِّي وَقَالَ فِيهَا إِنَّهُ يَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ "خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي". وَمَا أَبْعَدَ كَثِيرِينَ مِنَّا عَنْ اخْتِبَارِ الرَّسُولِ بولسَ هَذَا! فَهَنَّاكَ أَشْخَاصٌ كَثُرَ يَشْهَدُونَ عَنْ اهْتِدَائِهِمْ إِلَى الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ قَبْلَ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ. وَهُمْ يَصِفُونَ اخْتِبَارَهُمْ بِالرَّائِعِ. وَلَكِنَّهُمْ وَيَا لِلْأَسَفِ مَا زَالُوا يَفْتَخِرُونَ بِإِنْجَازَاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ. لِذَا، يَا لِيَتَنَا نَتَذَكَّرُ أَنَّ خِبرَاتِ الْمَاضِي لَيْسَ لَهَا أَيْ قِيَمَةٌ إِلَّا إِذَا تُرْجِمَتْ عَلَى نَحْوِ عَمَلِي فِي حَيَاتِنَا الْحَاضِرَةِ.

بِعِبَارَةٍ أُخْرَى، يَجِبُ أَنْ نُرَكِّزَ أَنْظَارَنَا عَلَى عِلَاقَتِنَا الْحَالِيَةِ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. فَهَذَا هُوَ الشَّيْءُ الْأَكْثَرُ أَهْمِيَّةً فِي حَيَاتِنَا مَعَ الرَّبِّ. وَهَذَا لَا يَعْنِي الْبَتَّةَ أَنَّ اخْتِبَارَاتِنَا السَّابِقَةَ لَيْسَ لَهَا أَيْ أَهْمِيَّةٌ. لَا يَا صَدِيقِي! بَلْ إِنَّا نَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى جَمِيعِ خِبرَاتِنَا الرُّوحِيَّةِ وَخِدْمَتِنَا وَإِنْجَازَاتِنَا. وَلَكِنَّ هَذِهِ جَمِيعَهَا كَانَتْ فِي نَظَرِ الرَّسُولِ بولسَ نُفَايَةً عِنْدَمَا قَاسَهَا بِمَقاييسِ السَّمَاءِ. لِذَا فَإِنَّهُ يَقُولُ: "وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيِ أَرْبِحَ الْمَسِيحَ، وَأُوجِدَ فِيهِ".

وَمَا أَعْظَمَ الْاِمْتِيازَ الَّذِي أَعْطَاهُ لَنَا اللَّهُ بِأَنْ نَكُونَ أَوْلَادَهُ مِنْ خِلَالِ إِيمَانِنَا بِشَخْصِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ! فَهَنَّاكَ أَشْخَاصٌ كَثِيرُونَ لَمْ يَقْبَلُوا يَسُوعَ مُخْلِصًا لِحَيَاتِهِمْ. وَلَكِنَّنا نَمْتَلِكُ هَذَا الْاِمْتِيازَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا يَفُوقُهُ اِمْتِيازٌ آخَرُ. وَقَدْ كَانَ بولسُ يُدْرِكُ أَنَّهُ لَمْ يَتَبَرَّرْ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ.

وَكَمَا ذَكَّرْنَا قَبْلَ قَلِيلٍ، فَإِنَّ الرَّسُولَ بولسَ كَانَ فَرِيسِيًّا مُتَزَمًّا. وَقَدْ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ كَانَ بِلَا لَوْمٍ مِنْ جِهَةِ الْبِرِّ الَّذِي فِي النَّامُوسِ. وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ التَّقَى الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ شَخْصِيًّا، أَدْرَكَ أَنَّ كُلَّ إِنْجَازَاتِهِ السَّابِقَةِ كَانَتْ نُفَايَةً.

وَيَا لِأَهْمِيَّةِ ذَلِكَ لِحَيَاتِنَا، صَدِيقِي الْمُسْتَمِعُ! فَقَدْ نَحاولُ جَاهِدِينَ أَنْ نَكُونَ أَبْرَارًا قُدَّامَ اللَّهِ الْعَلِيِّ مِنْ خِلَالِ أَعْمَالِنَا الصَّالِحَةِ وَمَجْهُودَاتِنَا. وَلَكِنْ مَا الْمِيعَارُ الَّذِي نَسْتَخْدِمُهُ لِقِيَاسِ بِرِّنَا؟ وَمَا مِيعَارُ الصَّوَابِ وَالْخَطَأِ الَّذِي نَلْتَجِئُ إِلَيْهِ؟ فِي أَفْضَلِ الْأَحْوَالِ، فَإِنَّ مُحَاوَلَاتِنَا هَذِهِ لِتَبْرِيرِ أَنْفُسِنَا أَمَامَ اللَّهِ مِنْ خِلَالِ أَعْمَالِنَا لَنْ تُفْضِيَ إِلَّا إِلَى جَعَلِنَا مُتَنَفِّخِينَ وَمُتَكَبِّرِينَ. وَهَذَا هُوَ مَا بَيَّنَّهُ يَسُوعُ فِي مَثَلِ الْفَرِيسِيِّ وَالْعَشَّارِ إِذْ قَالَ: "إِنْسَانَانِ صَعِدَا إِلَى الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا، وَاحِدٌ فَرِيسِيٌّ وَالْآخَرُ عَشَّارٌ. أَمَّا الْفَرِيسِيُّ فَوَقَفَ يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ هَكَذَا: اللَّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِفِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاةَ، وَلَا مِثْلَ هَذَا الْعَشَّارِ. أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الْأُسْبُوعِ، وَأَعَشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ. وَأَمَّا الْعَشَّارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ، لَا يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ، بَلْ قَرَعَ عَلَى

صَدْرِهِ قَائِلًا: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئُ. أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هَذَا نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّرًا دُونَ ذَلِكَ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَضَعُ، وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ".

وَعِنْدَمَا نَصِيرُ أَبْرَارًا فِي نَظَرِ أَنْفُسِنَا، فَإِنَّا سَنَدِينُ الْآخَرِينَ وَنَرَى أَنَّنَا أَفْضَلُ مِنْهُمْ فِي الْبِرِّ وَالْقِدَاسَةِ وَالْإِيمَانِ. وَلَكِنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ يُعَلِّمُنَا بوضوح تامٍّ أَنَّنَا جَمِيعًا أَخْطَأْنَا وَأَعْوَزْنَا مَجْدَ اللَّهِ. فَمَعَ أَنَّنَا قَدْ نَفَعَلُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي حَيَاتِنَا، فَإِنَّ هَذَا لَا يَعْنِي الْبَتَّةَ أَنَّنَا لَا نُخْطِئُ. وَالْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ يُعَلِّمُ أَنَّ الَّذِي يُخْطِئُ فِي وَاحِدَةٍ مِنْ وَصَايَا التَّامُوسِ كَأَنَّهُ أَخْطَأَ فِيهَا جَمِيعًا. فَمِغْيَارُ الْبِرِّ هُوَ قِدَاسَةُ اللَّهِ. وَعِنْدَمَا نُقَارَنُ مُحَاوَلَاتِنَا لِتَبْرِيرِ أَنْفُسِنَا بِقِدَاسَةِ اللَّهِ، لَا شَكَّ أَنَّنَا سَنُذْرِكُ أَنَّنَا أَبْعَدُ مَا يَكُونُ عَنِ الْقِدَاسَةِ.

وَفِي ضَوْءِ مَا سَبَقَ، لَيْتَ الرَّبَّ يُعْطِينَا جَمِيعًا أَنْ نَحْسِبَ كُلَّ شَيْءٍ نُفَايَةً لِكَيْ نَرْبِحَ الْمَسِيحَ. آمِينَ!

[الخاتمة]

(مُقَدِّم البرنامج)

فِي الْحَلْفَةِ الْقَادِمَةِ مِنْ بَرْنَامَجِ "الْكَلِمَةُ لِهَذَا الْيَوْمِ"، سَيَتَابِعُ الرَّاعِي "تَشْكُ سَمِيث" دِرَاسَتَهُ لِهَذِهِ الرِّسَالَةِ الْعَظِيمَةِ بِمَشِيئَةِ الرَّبِّ! لِيَا، أَرْجُو، صَدِيقِي الْمُسْتَمِعَ، أَنْ تَكُونَ بِرَفَقَتِنَا وَأَنْ نُصْغِيَ إِلَيْنَا فِي الْمَرَّةِ الْقَادِمَةِ كَيْ تَنَالَ كُلَّ بَرَكَاتِهِ وَفَائِدَةٍ.

وَالآن، نَشْرُكُكُمْ، أَغْزَاءَنَا الْمُسْتَمِعِينَ، مَعَ كَلِمَةِ خَتَامِيَّةٍ.

[كَلِمَةُ خَتَامِيَّةٍ]

(الرَّاعِي تَشْكُ سَمِيث)

صَلَاتُنَا لِأَجْلِكَ، صَدِيقِي الْمُسْتَمِعَ، هِيَ أَنْ تَحْيَا حَيَاةً تَفِيضُ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ، وَأَنْ تَسْأَلَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ السَّاكِنِ فِيكَ، وَأَنْ تَتَّقَ بوعودِ اللَّهِ، وَأَنْ تَتَّكِلَ عَلَيْهِ فِي سَدِّ حَاجَاتِكَ بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ. بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. آمِينَ!